

الصناعة المعجمية بين مرتكزات التنظير وآليات الإجراء

The lexical industry between the foundations of theorizing and the mechanisms of the procedure

زمالي عبد الغني*

جامعة محمد الشريف مساعدية – سوق أهراس- الجزائر

a.zmali@univ-soukahras.dz

تاريخ الارسال 2021/11/20. تاريخ القبول 2021/11/25 تاريخ النشر 2021/11/28

ملخص:

يعدّ المعجم أداة تواصلية بامتياز ، فهو الهوية اللغوية و الثقافية و الحضارية للأمة، تعكس أفكارها و معتقداتها المختلفة باختلاف مناهجهم و مآخذهم و مشاربهم.

والتأليف المعجمي صناعة قديمة و عريقة أبدع فيها العرب القدماء الذين طوّروا الحركة المعجمية آنذاك، وسعوا جاهدين إلى صناعة معجم عربيّ يواكب الحركة المعجمية المتجددة ضمن الخصوصية العربية لغة وثقافة.

الكلمات المتاحة: المعجم، الصناعة، الإجراء، المادة، اللغة.

Abstract:

The lexicon is a communicative tool par excellence, as it is the linguistic, cultural and civilizational identity of the nation, reflecting its different ideas and beliefs according to their different curricula, points of view and inclinations.

Lexical composition is an ancient and ancient industry in which the ancient Arabs, who developed the lexical movement at the time, excelled in creating an Arabic lexicon that keeps pace with the renewed lexical movement within the specificity of Arabic language and culture.

Keywords: Lexicon, industry, procedure, language.

1. مقدمة: يقول gonson: "يتوق كل من يؤلف كتابا إلى المدح ، أما من يصنف قاموسا فحسبه أن ينجو من اللوم"

بدأت الصناعة المعجمية مبكرة عند العرب، أي منذ الشروع في جمع اللغة العربية والتأليف فيها، وظلت مستمرة حتى العصر الحديث حيث تطورت واستفادت من تقنيات متنوعة. وقد تبلورت ضمن أصناف معجمية متنوعة شملت كل ما يتعلّق بالمنظومة اللغوية. وقد اختلفت المعاجم الموضوعة في اللغة العربية، يعود ذلك إمّا إلى النظام المتبع، أو الدلالات المتناولة، أو المغزى العام منها، لذا فقد صُنفت من حيث تقديم المواد المعجمية وتقديم دلالتها إلى صنفين أساسيين؛ معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني.

تعدّ الصناعة المعجمية من أهم الحقول اللغوية في اللسانيات التطبيقية، ويعود الاهتمام بها إلى التراث العربي، حيث برع علماؤنا في وضع المعاجم التي تستوعب ألفاظ العربية ودلالاتها واستعمالاتها، ولكنها كانت هذه الصناعة تطبيقية إذ لم تؤسس لنظرية معجمية واضحة وقائمة بذاتها، وعلى هذا الأساس تسعى الصناعة المعجمية الحديثة المتخصصة إلى وضع الأسس النظرية المؤسسة على ما تقتضيه اللغة من حيث جميع أنظمتها، إلى تقديم الأسس العلمية التي قد تعتمد في بناء المعاجم بمختلف أحجامها ووظائفها وغاياتها، مستفيدة في ذلك من مختلف العلوم المساعدة من جهة، ومن تقدّم التقنية والمعلوماتية من جهة أخرى.

1 نشأة المعجم العربي:

مما لا شك فيه، أن هناك أمم سبقت العرب في وضع المعاجم، مثل الآشوريين، والصينيين، واليونان، والهنود، "وإن كان العرب قد تأخروا عن غيرهم في تأليف المعاجم، غير أنهم فاقوا من سبقهم في هذا الميدان، على ما بدا في العربية من التنويع والإيضاح والتنسيق والترتيب"¹.

ولم يعرف العرب التأليف المعجمي قبل العصر العباسي لأسباب عدة أهمهاⁱⁱ:

- 1- انتشار الأمية بينهم، فالذين يعرفون القراءة والكتابة قبل الإسلام قليلون.
- 2- طبيعة حياتهم الاجتماعية القائمة على الغزو والانتقال من مكان لآخر.
- 3- إتقانهم للغتهم، فقد كانت العربية عندهم لسان المحادثة والخطابة والشعر، وكان إذا احتاج أحد إلى تفهم معنى لفظ استغلق عليه لجأ إلى مشافهة العرب، أو إلى الشعر. يقول ابن عباس (ت68هـ): الشعر ديوان العرب، فإن خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله رجعنا إلى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه. ويقول أيضا: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب.

وإذا كان الأمر كذلك، فهذا لا يعني أن الفكرة كانت غائبة، بل بدأت تراودهم منذ أن بدؤوا في شرح القرآن الكريم، وإن كان للأمم الأخرى فضل السبق، فإن الأمة العربية قد حازت على شيء آخر هو التفوق كما وكيفا، وفي هذا يقول أحد الباحثين معتزا "وإذا تفاخرت اللّغى كلّ بمعجمها فإن الفخر كل الفخر لأمها الضاد، إذ لم يعرف العالم أمة كالعرب فاقوا سائر الأمم عناية بلغتهم، وسعيا في جمعها وتدوينها، وبحثا في مفرداتها، وتعقبا لدلالة الحرف

الواحد من حروفها بحسب موقعه من اللفظ الواحدⁱⁱⁱ. وهو تفاخر مشروع منطلقه واقع، فلا أحد ينكر سلامة وطواعية اللغة العربية وراثتها العلمي خاصة في العصر الذهبي العباسي، أما عن مراحل النشأة، فلنا أن نلخصها في الآتي:

1-المرحلة الأولى(مرحلة الجمع):

أبرز ما يميزها هو:

"جمع الكلمات حيثما اتفق، فالعالم يرحل إلى البادية، يسمع كلمة في المطر، ويسمع كلمة في السيل، ويسمع كلمة ثالثة في الزرع، أو في النبات، ويسمع غير ذلك في وصف الفتى أو الشيخ إلى غير ذلك، فيدون العالم ذلك كله حسبما سمع، دون ترتيب إلا ترتيب السماع"^{iv}. وتم في هذه المرحلة تحديد الفترة الزمنية للفصاحة، الممتدة حتى القرن الرابع هجري في البادية، ونهاية القرن الثاني للهجرة في الحضر (المدينة)، كما تم تحديد الرقعة الجغرافية كذلك والمتمثلة في القبائل الستة.

2-المرحلة الثانية(مرحلة الترتيب):

تعتبر مرحلة تنظيم وفرز المادة اللغوية، تميزت بـ:

"جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، والذي دعا إلى هذا في اللغة -على ما يظهر- أنهم رأوا كلمات متقاربة في المعنى، فأرادوا تحديد معانيها فدعاهم ذلك إلى جمعها في موضع واحد، وتوجت هذه المرحلة بكتب تؤلف في الموضوع الواحد، فألف أبو زيد الأنصاري (ت215هـ) كتابا في المطر وكتابا في اللبن وألف الأصمعي (ت214هـ) كتباً كثيرة، كل كتاب في موضوع، كتاب في النحل وآخر في العسل، ولابن الأعرابي (ت231هـ) كتاب في الذباب وألف النضر بن شميل (ت241هـ) كتاب في خلق الفرس..."^v.

3-المرحلة الثالثة:

عدت هذه المرحلة، مرحلة الإخراج والإنتاج وهي المرحلة التي وضعت فيها المعاجم، على نظام منهجي معجمي دقيق، شملت كل الكلمات العربية على نمط خاص، ومنهج خاص، ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى الكلام. هذه المرحلة تسمى بمرحلة معاجم الألفاظ، أو المعاجم المجنسة، هذه مترادفات كلها تؤدي لمعنى واحد، لأن هذه المرحلة قامت على جمع المفردات وترتيبها سواء كانت صوتياً، أو أبجدياً"^{vi}.

كان رائد هذه المرحلة بلا منازع العبقري المبدع الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) الذي برع في تأليف معجمه العين، من حيث الجمع والوضع، فجمع ألفاظ اللغة، وشرح معانيها، ورتبها ترتيباً علمياً، مبنياً على الترتيب المخرجي للأصوات ونظام التقليلات، ثم توالى بعد ذلك التأليف على نمطه ونهج، فظهرت معاجم عدة لعل أهمها الآتي: "الجيم لأبي عمر الشيباني (ت206هـ)، وجمهرة أشعار العرب لابن دريد (ت321هـ)، ثم البارع في اللغة لأبي علي إسماعيل بن بلقاسم القالي البغدادي (ت356هـ)، وتاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن أحمد حماد

الجوهري (ت393هـ)، ثم لسان العرب لمحمد مكرم المعروف بابن منظور المصري (ت811هـ) فالقاموس المحيط والقابوس الوسيط لمجد الصدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت817هـ) ^{vii}.

من خلال ما ذكر نستطيع القول إنّ المعجم العربيّ جاء نتيجة لعملية تدوين اللغة، التي كان هدفها حفظ اللغة من اللحن، وصيانتها من الشوائب، حرصاً على كتاب الله عز وجل.

أ- ماهية المعجم:

تدل المادة المعجمية "عجم" في اللغة على الإبهام والخفاء؛ يقول ابن جني: «اعلم أنّ (ع.ج.م) إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء، وضد البيان والإفصاح، ومن ذلك قولهم رجل أعجم، وامرأة عجماء إذا كانا لا يفصحان ولا يُبينان كلامهما. وكذلك العُجم والعجم، ومن ذلك قولهم عجم الزبيب وغيره، إنما سُمّي عجماً لاستتاره وخفائه بما هو عجم له... فإن قال قائل فيما بعد: إنّ جميع ما قدّمته يدل على أنّ تصريف (ع.ج.م) في كلامهم موضوع للإبهام وخلاف الإيضاح، وأنت إذا قلت أعجمت الكتاب، فإنما معناه: أوضحته وبيّنته، فقد ترى هذا الفصل مخالفاً لجميع ما قدّمته، فمن أين لك الجمع بينه وبين ما ذكرته؟ فالجواب: أنّ قولهم "أعجمت" وزنه "أفعلت" و"أفعلت" هذه وإن كانت في غالب أمرها إنّما تأتي للإثبات والإيجاب، نحو: أكرمت زيدا، أي أوجبت له الكرامة، وأحسنّت إليه: أثبت الإحسان إليه، وكذلك أعطيته وأدنيته وأنقذته، فقد أوجبت جميع هذه الأشياء له، فقد تأتي "أفعلت" أيضاً يراد بها السلب والنفي، وذلك نحو: أشكيت زيدا، إذا زُلت له عما يشكوه... ومثله قوله "إنّ الساعة آتية أكاد أخفيها" ^{viii}. فالعجمة ضد البيان والإفصاح، والعجمي غير العربي، فهو مبهم عن العرب.

أما "المعجم" فهو اسم مفعول من الفعل "أعجم" يُعجم؛ أي أزال العجمة أو الغموض أو الإبهام. وقد أطلق على نقط الحروف لفظ "الإعجام"؛ لأنه يزيل ما يكتنفها من غموض (ب، ت، ث، ج، ح، خ...) وسمي المعجم معجماً إما لأنه مرتب على حروف المعجم، وإما لأنه يُزيل إبهام المفردة وغموضها. تُجمع كلمة "معجم" جمعاً مؤنثاً سالماً على "معجمات" وهذا ما يتفق عليه اللغويون، وهناك جمع آخر لها وهو "معاجم" صححه مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وقد عُرف لفظ "المعجم" في مبدأ الأمر عند المهتمين بالحديث النبوي؛ فقد أطلقوا كلمة معجم على الكتاب الذي تُجمع فيه أسماء الصحابة ورواة الحديث فترتب هجائياً، ويُقال إن البخاري (ت256هـ) كان أول من أطلق لفظة "معجم" وصفاً لأحد كتبه المرتبة على حروف المعجم، وقد وضع أحمد بن علي بن المثنى (ت307هـ) "معجم الصحابة" ووضع البغوي (ت317هـ) "معجم الحديث" وهكذا.

أمّا في الاصطلاح فيعرف المعجم بأنّه "كتاب يضم بين دفتيه مفردات لغة ما ومعانيها واستعمالاتها في التراكيب المختلفة وكيفية نطقها وكتابتها، مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب التي غالباً ما تكون الترتيب الهجائي" ^{ix}.

وعُرف في المعجم الوسيط بأنه "ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم"^x. ويلاحظ أن اللغويين كانوا يختارون لكل معجم يضعونه أسما خاصا به يدل على صفة بارزة فيه تميزه عن غيره مثل: كتاب العين، والجمهرة والصحاح وتهذيب اللغة والمخصص والعياب والمحيط، أما إطلاق لفظ "معجم" على هذه المصنفات فهو متأخر.

ويسمى العلم الذي يهتم بالمفردة من حيث أصلها واشتقاقها ودلالاتها ونطقها وتهجيها "علم المعاجم".

ب- القاموس:

استعمل بعض اللغويين الذين حاولوا جمع اللغة كلمة قاموس بدلا من كلمة معجم، ومعناه البحر المحيط أو العظيم ويعود أصل مصطلح قاموس إلى الفيروزآبادي (ت817هـ) عندما أطلقه على مؤلفه، ثم شاع بعد ذلك وأصبح من يؤلف معجما يطلق عليه مصطلح قاموس.

1- تعريفه:

ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) في كتابه العين مادة (قمس): "كل شيء يغط في الماء، ثم يرتفع فقد قمس، والقيران كذلك، والقنأ وهي أكامم القفاف إذا اضطرب السراب حوالها قيل: قمست، قال رؤبة في نعت القيآن:

بَيْدَا تَرَى قَيْرَانَهُنَّ قَمَسَا
بِوَايَا مَرًّا وَمَرَأَمَسَا.

أي بدت بعدما تخفى كذا، يصف رؤبة قيزانا أنهن يتقمسن في السراب. وفي المثل: بلغ قوله قاموس البحر أي قعره الأقصى^{xi}.

أما في لسان العرب فقد ذكر ابن منظور في مادة (ق.م.س): "قمس في الماء يقمس قموسا. انغط ثم ارتفع، وقمسه هو فانقمس؛ أي غمسه فيه فانغمس... وكل شيء يغط في الماء ثم يرتفع، فقد قمس... والقاموس والقومس: قعر البحر، وقيل وسطه ومعظمه... قال أبو عبيد: القاموس أبعد موضع وغور في البحر، قال: وأصل القموس الغوص^{xii}.

وقد عرف المعجم الوسيط القاموس بما يلي: "قمس الرجل وغيره في الماء: قمسا وقموسا: غاص ثم ظهر... والقاموس: البحر العظيم. وعلم على معجم "الفيروز آبادي (ت816هـ). وكل معجم لغوي، على التوسع^{xiii}.

ج- الفوارق الفاصلة بين المعجم والقاموس.

لقد أصبح في العصر الحديث، يطلق اسم قاموس على أي معجم، ويعد الفيروزآبادي (ت816هـ) أول من أطلق هذه اللفظة عندما ألف معجمه اللغوي، وسماه بالقاموس المحيط، إشارة منه إلى سعته وجزارة مادته، وقد حقق هذا المعجم انتشارا كبيرا، وشهرة واسعة، وصار مرجعا للباحثين، وأخذت كلمة ((قاموس)) تشيع على السنة

الناس، مرادفة لكلمة (معجم) أي مُعجم، وكان للشدياق مؤلف كتاب "الجاسوس على القاموس" أثر كبير في شيوع الكلمة بمعناها المولد، وعندما ألف الشرتوني معجم "أقرب الموارد" سنة 1890م، أثبت فيه المعنى المولد لكلمة (قاموس) قال: "...ويُطلقه أهل زماننا على كل كتاب في اللغة، فهو يرادف عندهم كلمة مُعجم وكتاب لغة" ^{xiv}.

ومن الذين أدلوا بدلوهم في هذا الموضوع، الباحث أحمد مختار عمر قائلاً: "ولفظ ((القاموس)) في اللغة لا يعني هذا ولا شيئاً قريباً من هذا. فالقاموس هو قعر البحر، أو وسطه، أو معظمه. وقال أبو عبيدة: القاموس أبعد موضع غوراً في البحر ومرجع هذا المعنى الذي ألصق بلفظ ((قاموس)) أن عالماً من علماء القرن الثامن، واسمه ((الفيروزآبادي)) ألف معجماً سماه القاموس المحيط وهذا وصف للمعجم بأنه بحر واسع أو عميق. كما نسمي بعض كتبنا: الشامل، أو الكامل، أو الوافي،... أو نحو ذلك" ^{xv}.

لقد ظل لفظ القاموس محل خلاف بين العلماء، حتى أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذا الاستخدام، وذكره ضمن معاني كلمة قاموس في معجمه الوسيط. واعتبر إطلاق لفظ القاموس على أي معجم من قبيل المجاز، والتوسع في الاستخدام. ويؤكد الباحث عدنان الخطيب ما سبق ذكره بقوله: "وانتهى الأمر بالمعنى المولد لكلمة ((قاموس)) اليوم إلى إقراره من قبل مجمع اللغة العربية في القاهرة، وهكذا خرج ((المعجم)) الوسيط، معرفاً للكلمة بما يلي: القاموس: البحر العظيم. و- علم على مُعجم الفيروزآبادي وكل مُعجم لغوي، على التوسع" ^{xvi}. ومع ظهور مصطلحات أخرى زاحمت هذين المصطلحين على المفهوم من قبل: *glossaire* و *vocabulaire*، فإننا نلمح في الدراسات العربية بعض الجهود الجدية، التي حاولت رسم حدود لهذه المصطلحات، والتفريق فيما بينها من خلال وضع معايير معينة، كما فعلت ليلى المسعودي ^(xvii) من خلال الجدول الآتي ومن قراءته يظهر التفريق جلياً في المعايير بين اللغة الموسوعية والوظيفية والتمثيلية:

الأصناف				المعايير
الموسوعة	المفظة	المعجم	القاموس	
Glos saire Glos sary	Vocabul aire Vocabul ary	Lexi que Lexi con	Dictionna ire Dictionna ry	
لغوية تمثيلية المدخل + التعريف	لغوية موسوعية التمثيلية المدخل + التعريف	لغوية الوظيفية المدخل	لغة موسوعية الوظيفية المدخل + التعريف إجرائي	طرق المعالجة خصائص الصناعة خصائص

المادة	أو وصفي أو	إجرائي أو	إجرائي أو
خصائص	أيقوني	وصفي أو أيقوني	إجرائي أو
التعريف	أحادي اللغة أو متعدد	أحادي اللغة	أيقوني أحادي اللغة
عدد اللغات	اللغات معياري	وصفي تزامني	اللغة أحادي
الموقف اللغوي	تزامني (آني) التأليف	التأليف	وصفي تزامني تفكيكي
البعد الزمني الوظيفة			

2. ماهية المعجم:

تدل المادة المعجمية "عجم" في اللغة على الإبهام والخفاء؛ يقول ابن جني: «اعلم أنّ (ع.ج.م) إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء، وضد البيان والإفصاح، ومن ذلك قولهم رجل أعجم، وامرأة عجماء إذا كانا لا يفصحان ولا يُبينان كلامهما. وكذلك العجم والعجم، ومن ذلك قولهم عجم الزبيب وغيره، إنما سُمّي عجمًا لاستتاره وخفائه بما هو عجم له... فإن قال قائل فيما بعد: إنّ جميع ما قدّمته يدل على أنّ تصريف (ع.ج.م) في كلامهم موضوع للإبهام وخلاف الإفصاح، وأنت إذا قلت أعجمت الكتاب، فإنما معناه: أوضحته وبيّنته، فقد ترى هذا الفصل مخالفًا لجميع ما قدّمته، فمن أين لك الجمع بينه وبين ما ذكرته؟ فالجواب: أنّ قولهم "أعجمت" وزنه "أفعلت" و"أفعلت" هذه وإن كانت في غالب أمرها إنما تأتي للإثبات والإيجاب، نحو: أكرمت زيدًا، أي أوجبت له الكرامة، وأحسنّت إليه: أثبت الإحسان إليه، وكذلك أعطيته وأدنيته وأنقذته، فقد أوجبت جميع هذه الأشياء له، فقد تأتي "أفعلت" أيضًا يراد بها السلب والنفي، وذلك نحو: أشكيت زيدًا، إذا زُلت له عما يشكوه... ومثله قوله "إنّ الساعة آتية أكاد أخفيها"^{xviii}. فالعجمة ضد البيان والإفصاح، والعجمي غير العربي، فهو مبهم عن العرب.

أما "المعجم" فهو اسم مفعول من الفعل "أعجم" يُعجم؛ أي أزال العجمة أو الغموض أو الإبهام. وقد أطلق على نقط الحروف لفظ "الإعجام"؛ لأنه يزيل ما يكتنفها من غموض (ب، ت، ث، ج، ح، خ...). وسُمّي المعجم معجمًا إما لأنه مرتب على حروف المعجم، وإما لأنه يُزيل إبهام المفردة وغموضها.

تُجمع كلمة "معجم" جمعا مؤنثا سالما على "معجمات" وهذا ما يتفق عليه اللغويون، وهناك جمع آخر لها وهو "معاجم" صححه مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وقد عُرف لفظ "المعجم" في مبدأ الأمر عند المهتمين بالحديث النبوي؛ فقد أطلقوا كلمة معجم على الكتاب الذي تُجمع فيه أسماء الصحابة ورواة الحديث فترتب هجائيا، ويُقال إن البخاري (ت256هـ) كان أول من أطلق لفظة "معجم" وصفا لأحد كتبه المرتبة على حروف المعجم، وقد وضع أحمد بن علي بن المثنى (ت307هـ) "معجم الصحابة" ووضع البغوي (ت317هـ) "معجم الحديث" وهكذا.

أمّا في الاصطلاح فيعرف المعجم بأنّه "كتاب يضم بين دفتيه مفردات لغة ما ومعانيها واستعمالاتها في التراكيب المختلفة وكيفية نطقها وكتابتها، مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب التي غالبا ما تكون الترتيب الهجائي"^{xix}.

وعُرف في المعجم الوسيط بأنّه "ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم"^{xx}. ويلاحظ أن اللغويين كانوا يختارون لكل معجم يضعونه أسما خاصا به يدل على صفة بارزة فيه تميزه عن غيره مثل: كتاب العين، والجمهرة والصحاح وتهديب اللغة والمخصص والعباب والمحيط، أمّا إطلاق لفظ "معجم" على هذه المصنفات فهو متأخر.

ويسمى العلم الذي يهتم بالمفردة من حيث أصلها واشتقاقاتها ودلالاتها ونطقها وتهجيها "علم المعاجم".

3. شروط بناء المعجم.

حدد الباحث أحمد مختار عمر شرطين أساسيين، لا بد من توفرهما في أيّ كتاب يجمع مفردات اللغة، ويشرحها وهما: "الشمول والترتيب، ويعد الشمول أمرا نسبياً تتفاوت المعاجم في تحقيقه، أما الترتيب فلا بد من توفيره، وإلا فقد المعجم قيمته. وقد كان تعدد طرق الترتيب المعجمي عند العرب، وتفاوت هذه الطرق صعوبة وسهولة سببا في موت معاجم وحياة أخرى، وخمول بعضها وشيوع أخرى."^{xxi}

ونخلص من هذا القول إلى أهمية عنصر الترتيب في المعاجم، فهو يسهل عملية البحث والوصول إلى المراد، فإن أحسن ترتيبه كان الإقبال عليه والعكس صحيح، حيث يعد عنصر الإقبال مهم في شيوع المعجم وبروزه، ومن ثمة بقائه وخلوده.

4. وظيفة المعجم.

يوظف المعجم بوظائف لغوية جوهرية عدة، لعلها السبب في تأليفه وأساس تصنيفه، من بينها حفظ اللغة وصونها من الضياع والتحريف والاختلاط بما ليس منها، وتنقيتها من الشوائب الدخيلة عليها، كما يقوم المعجم بمهام أخرى، لخصها الباحث أحمد مختار عمر في الآتي:^{xxii}

أ- شرح الكلمة وبيان معناها أو معانيها: إما في العصر الحديث فقط، أو بالوقوف على معناها أو معانيها في العصور المختلفة، وينبغي أن تكون الكلمة معروضة في سياقات مختلفة، وجمل متعددة ليتضح المعنى أمام القارئ أو الباحث لهذه الكلمة.

ب- تحديد الوظيفة الصرفية للكلمة: هل هي اسم أم حرف، ومن أي الأنواع إذا كانت فعلاً، أم هو ماض، أو مضارع، أو أمر، وهل هو لازم أم متعدي، مجرد أم مزيد؟... الخ.

ج- بيان كيفية كتابة الكلمة: وخاصة حين يكون هجاء الكلمة لا يمثل أصواتها المنطوقة مثل: الرحمان والسموات، وأولئك، وهذا، ومائة، ولفظ الجلالة (الله)، وكذا كيفية كتابة الهمزة، إلى غير ذلك.

د- بيان كيفية النطق للكلمة: أو بيان كيفية ضبطها بالشكل، وهو ما اتبعه بعض اللغويين العرب في المعاجم حين يقولون بأن الكلمة على وزن كذا، أو أن نطقها يشبه نطق كذا، أو يقولون بفتح أولها وضم ثانيها إلى غير ذلك.

هـ- تحديد مكان النبر في الكلمة: هو إعطاء بروز معين لأحد مقاطع الكلمة دون المقاطع الأخرى. ويرى الباحث نفسه، أن تحديد وظائف المعجم يرتبط بقضية خارجية، وهي حاجة مستعمل المعجم، ونوع المعلومات التي يريدونها منه.

5. صناعة المعجم:

1.5. الصناعة المعجمية: المصطلح والمفهوم.

من أهم العقبات والإشكالات التي تقف أمام الباحث في علم المعجم، المصطلح اللساني الذي يضي الجهد، ويستنفذ الوقت ويرجع هذا إلى الاختلافات المتباينة من الآراء المتعددة والترجمات المتقاربة، فتعدد المصطلحات في اللغة العربية، أنتج اللبس والاضطراب والفوضى الاصطلاحية، فنلاحظ اليوم مصطلحات عدة للتعبير عن مفهوم علم المعجم منها: الصناعة المعجمية، والقاموسية، والمعجميات، ووضع المعاجم، وتصنيف المعاجم، وصناعات المعجم، وصناعات المعاجم، "ففي مصطلحات علم اللغة الحديث، هناك فرق بين علم المفردات أو علم الألفاظ (lexicologie)، والصناعة المعجمية (lexicographie)، فالمصطلح الأول يشير إلى دراسة المفردات ومعانيها في لغة واحدة أو في عدد من اللغات، ويهتم علم المفردات من حيث الأساس باشتقاق الألفاظ وأبنيته، ودلالاتها المعنوية الإعرابية والتعابير الاصطلاحية، والمترادفات، وتعدد المعاني، أما الصناعة المعجمية فتشتمل على خطوات أساسية خمس هي: جمع المعلومات والحقائق، واختيار المداخل، وترتيبها طبقاً لنظام معين، وكتابة المواد، ثم نشر النتائج النهائي، وهذا النتاج هو المعجم أو القاموس...^{xxiii}.

ويصنف اللسانيون المحدثون مباحث علم المعجم إلى صنفين كبيرين:

"الأول نظري، ويمكن تسميته المعجمية النظرية، ويسميه البعض الآخر علم المفردات لأن مبحثه الأساسي هو الألفاظ من حيث هي ألفاظ ذات دلالات وذات صلات ببعضها البعض، وأصول انحدرت منها، وعائلات

اشتقاقية تنتمي إليها، والصنف الثاني تطبيقي، ويمكن تسميته المعجمية التطبيقية، ويسميه البعض المعجمية نسبة إلى المعاجم في صيغ الجمع ومبحثه تأليف المعاجم، أو الصناعة المعجمية^{xxiv}.

والمتتبع لشأن المعجمي يدرك لا محالة الخلط بين مصطلحي علم المعاجم (**lexicologie**)، وصناعة المعاجم (**lexicographie**) من طرف بعض الدارسين مثل جورج ماطوري الذي قال: "المعجمية (**lexicologie**)، الذي يطلق عليها أحيانا اسم القاموسية (**lexicographie**)"، هي علم ليس معروفا بشكل جيد، وهناك من يتصور بصفة عامة أن موضوعها الوحيد هو صناعة القواميس التي هي جملة أفعال لا تناقش فائدتها، ولكن ينظر إليها بشيء من الازدراء. والواقع أنّ وضع القواميس لا يمثل إلا جانبا واحدا (وليس هو المهم) من دراسات المعجمية^{xxv}.

لا شك أنّ صناعة المعجم العربي الحديث بواسطة المصطلحات الحديثة ممكنة بشروط منها تشكيل مجموعات فرق عمل تسهر على إعداد دراسات وأبحاث وتنسق عملها لبلوغ الغاية المرجوة. فعلى سبيل المثال، يلاحظ المتتبع للحركة الأدبية الفكرية في بلادنا انتشار اصطلاحات جديدة في ثقافتنا المعاصرة: في الدراسات الفلسفية، في النقد والبلاغة، وفي اللسانيات، فرضها استعمال العلوم والمناهج المعاصرة مثل البنيوية والسيمائيات وعلوم الإعلام...، حتى إنّ يمكن القول إنّ اللغة المعاصرة والحديثة تحوّلت إلى لغة اصطلاحية بسبب كثرة العلوم وتداخلها.

وتتضمن "صناعة المعجم عامة شقين مختلفين ومتكاملين: يتصف أولهما بطابع نظري، ويتمثل في اختيار الأسس النظرية والمنهجية العلمية والأهداف المرجوة من وضع المعجم. أمّا الشق الثاني فهو ذو طابع عملي، ويشمل الخطوات التطبيقية التي يمكن اتّباعها من أجل إنجاز المعجم العلمي المختص الثنائي أو الثلاثي اللغة، في ثلاث مراحل: مرحلة ما قبل الإنجاز، ومرحلة الإنجاز ومرحلة ما بعد الإنجاز^{xxvi}.

وحتى تتحقق الاستفادة المرجوة من البحث ومن المعاجم، يجب علمستعملها أن يكون ملّما بالطرق والمناهج التي بنيت على أساسها المعاجم العربية، لأنّ علماء العرب القدامى تركوا لنا معاجم متنوّعة من حيث المادة اللغوية، ومن حيث المناهج المتّبعة، وبالتالي من حيث الأهداف المرجوة من تأليفها.

يهدف المهتم باللغة العربية إلى تعلّم أصولها والتّحكم في قوانينها نطقا وكتابة واستكشافا، فيشري بذلك رصيده اللغويّ والمعرفي لتحقيق عملية التواصل السليم من جهة، والتعمق في مباحثها المتشعبة من جهة أخرى حتى يتسنى له مواجهة ما يمكن أن يصادفه في علومها المختلفة من مشكلات صوتية، وصرفية، وتركيبية ودلالية، لذا كان لزاما على الباحث اللغويّ الاستعانة بالمعاجم اللغوية العربية كي تساعده في اكتساب مهارات لغوية كثيرة، كما تعينه في عملية البحث العلمي الأصيل من خلال اكتشاف دقائق اللغة العربية وبنائها المتفردة.

يعدّ العمل المعجمي عملا تقنيا خالصا يحتاج إلى معرفة واسعة في شتى المجالات المعرفية - اللغوية منها على وجه الخصوص -، ولذلك يحق لنا أن نتساءل هل تعدّ الصناعة المعجمية صناعة أم هل هي فن تحتاج إلى مهارة وبراعة فردية، أم هل هي مزيج بين هذا وذاك؟.

ورد في القاموس المحيط أنّ الصناعة هي "حرفة الصانع وعمله"^{xxvii}، أي هي جهد مبذول يحتاج إلى القوة الذهنية والجسدية، وهذا ما ينطبق على الصناعة المعجمية؛ لأنّ واضع المعجم يحتاج إلى جهد فكري كبير من أجل استقصاء أحوال اللغة ومصطلحاتها و مفرداتها ومدى شيوعها بين الناس، واختلاف دلالاتها أو تشابهها وفق نظام وضع محكم يتبناه بناء على معرفته المسبقة، أو بناء على هدفه من وراء وضع المعجم، وهو ما ذهب إليه القلقشندي في كتابه "صبح الأعشى" حين قال: "على أنّ معرفة المصطلح هي اللازم المحتّم والمهمّ المقدّم، لعموم الحاجة إليه واقتصار القاصر عليه: إنّ الصنعة لا تكون صنعةً حتّى يُصاب بها طريفُ المصنّع"^{xxviii}، ولذلك تحتاج هذه الصناعة إلى دقة متناهية.

على الرغم من الجهد الفكري والجسدي الواضح في الصناعة المعجمية إلّا "أنّه يبقى عملاً يستطيع واضع المعجم من خلاله إبراز موهبته وفطنته ودكائه، وحسن استغلاله لمعارفه السابقة، كحال الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع المعجم العربيّ أول مرة"^{xxix}، إذ هداه إلى الترتيب الصوتي عمله بالموسيقى واشتغاله بعلم الحساب علمه بالنحو والصرف ولهجات العرب وطرائق كلامها، أضف إلى ذلك حبّه للتفرد والتميّز من خلال رفضه للترتيبات المتعارف عليها في عصره، وأشهرها الترتيب الألفبائي و الترتيب الأبجدي.

2.5. أسس الصناعة المعجمية:

يذكر علي القاسمي أنّ الصانعة المعجمية تشمل خمس خطوات أساسية هي؛ جمع المعلومات والحقائق، واختيار المداخل، وترتيبها طبقاً لنظام معيّن، وكتابة المواد، ثم نشر النتائج النهائية^{xxx}. وعليه تقوم الصناعة المعجمية على الأسس التالية:

1.2.5. جمع المعلومات والحقائق: وهي مرحلة أولية في الصناعة المعجمية تقتضي من المعجمي جمع المادة المعجمية التي تشكّل المرجعية التي يبنى عليها معجمه، وتضم الألفاظ ومشتقاتها ودلالاتها واستعمالاتها وسماتها النحوية والصوتية. وقد يستفيد من الطرائق التي اعتمدها القدامى في بناء معاجمهم، وقد ارتكزت على الكيفيات التالية:

- 1- كلام العرب الذي ورد قبل عصر الاحتجاج، وينتهي إلى غاية القرن الرابع الهجري.
- 2- مشافهة الأعراف الفصحاء والقبائل المشهود لها بالفصاحة والتسجيل عنها.
- 3- طريقة الإحصاء العقلي القائمة على الإحصاء الرياضي للجذور المحتملة في اللغة العربية، وقد طبّقها الخليل بن أحمد الفراهيدي عن طريق عملية التقاليب.
- 4- اعتماد اللاحقين على ما جمعه السابقون، مثل لسان العرب الذي استفاد فيه ابن منظور مما ورد في المعاجم السابقة.

2.2.5. اختيار الوحدات المعجمية: أي اختيار الوحدات المعجمية التي يبنى عليها المعجم المقصود، و«يؤثر في هذا الاختيار جملة من العوامل منها، منها ما سبق اتخاذه من قرارات عن نموذج المعجم والهدف من تأليفه، ومنها

حجم المعجم المقترح؛ فمعجم كبير أو متوسط لا يصح أن يهمل ذكر التنوعات العامة للغة، ومعجم كبير أو متوسط يجب أن يهتم بمصطلحات العلوم والفنون، وأن يذكر منها ما يشيع في اللغة العامة، ومعجم كبير أو متوسط لا بد أن يعطي إشارات لأسماء الأماكن ذات الأهمية الخاصة، وأعلام الأشخاص إذا اشتهرت، أو حملت معنى عاما، أو كان لاشتقاقها أهمية خاصة. وأهم من هذا يأتي السؤال: ماذا يأخذ المعجمي من المادة؟ وماذا يترك حتى بعد أن يحدد نموذج المعجم وهدفه وحجمه؟ فليس هناك عدد معين من المواد يمكن تحديده مسبقا بالنسبة لأحجام المعاجم الثلاثة^{xxxix}. وفي ذلك إشارة إلى طبيعة المعجم من حيث حجمه وأهدافه ووظائفه في اختيار الوحدات المعجمية لبناء المعجم.

3.2.5. ترتيب المداخل وفق نظام معين: وهو الأساس المنهجي الذي يعتمد عليه المعجمي في ترتيب المداخل المعجمية وتقديم الأصول والمشتقات، والشروح والاستشهادات. ويشمل الترتيب الذي قد يعتمد في إيراد الأصول و ترتيبها؛ وقد نوع صناعات المعاجم العربية في ذلك منها نظام التبويب وفق الترتيب الصوتي، ونظام الترتيب وفق الترتيب الهجائي مع الأبنية، ونظام الترتيب الهجائي بحسب أوائل الأصول، ونظام الترتيب بحسب أواخر الأصول وغيرها، أو تقسيم المادة المعجمية وفق الألفاظ أو المعاني أو نظام الأفعال أو غير ذلك. ويشمل هذا الأساس كذلك الكيفية التي قد تُعتمد في تقديم مشتقات الأصول بحسب صيغها الصرفية ودلالاتها، وطرق الشرح والاستشهاد وغير ذلك.

4.2.5. كتابة المواد: أي تدوين المعارف المعجمية الخاصة بكل مدخل معجمي أو جذر محدّد، وتقديم جميع المعلومات التي تخص اللفظة المعينة ببيان خصائصها الصوتية، ودلالاته بحسب سياقاتها، وأوجه استعمالها الأصلية. ويسمي المعجمين التعريف المعجماتي، ويعرفه حلمي خليل بأنّه "شرح المعنى أو بيان دلالة الكلمة أيا كان نوعها، ويتفق علماء اللغة والمعاجم قديما وحديثا على أن يكون الشرح أو التعريف بالمعنى واضحا لا لبس فيه ولا غموض"^{xxxii}. فالتعريف المعجماتي يقتضي تقديم الشروح المعجمية وفق شروط محددة، تستلزم من المعجم الوضوح والدقة في تقديم الحقائق المعجمية، والشمولية.

5.2.5. نشر النتائج النهائية: ويتخصص هذا الأساس بالجانب الشكلي والخصائص الفنية التي يتجلى من خلالها المعجم؛ من حيث صفحاته ونظام الأعمدة، ونظام الترميز، وأشكال بدء الكلمات ونهايتها، وطريقة استعمال الأرقام والأقواس والمعكوفتين والنجوم المميزة ومختلف العلامات المميزة، وكتابة الشواهد، واختيار الصور ووضعها في المكان المناسب، وكل ما يسهم في إخراج النسخة النهائية للمعجم وطبعها ومراجعتها وتصحيحها حتى يصبح المعجم جاهزا، ويمكن تقديمه للقارئ.

6. خاتمة:

يقول gleason: "إنّ عمل المعاجم عمل مضجر إلى أقصى حد...إنّه الدقة...إنّه عبء عظيم لا يمكن تصديقه".

إنّ العرب من أسبق الأمم إلى التأليف المعجمي. فالحركة النشطة في التأليف في علوم متباينة، فيما عرفه العالم بالحضارة الإسلامية وصناعة المعاجم، تُعدُّ إحدى عجائب التأليف العربي. فما هي إلا نظرة في المؤلفات المعجمية العربية؛ حتى يُعرى للقارئ أنّه يقف شاهداً على براعة العرب في هذا الفن. ذلك أنّها قامت في وقتٍ قلّت فيه وسائل الاتصالات، وانعدمت فيه قواعد البيانات التي شهدها العصر الراهن. وأكثر من ذلك، أنّ المعجمية العربية قد قامت على جهود فردية وحسب.

لقد انطوى التراث العربي على تجارب علمية وبحثية معجمية كثيرة، إذ تفنّن أصحابه في ذلك، من حيث الموضوعات والمذاهب والمناهج، فكتبوا معاجم للألفاظ، ومعاجم للبلدان، ومعاجم للأدباء، ومعاجم تاريخية، وأخرى للمترادفات، وبخلافها للأضداد، ومعاجم للأعلام، ومعاجم للموضوعات الخاصة، كالنبات والحيوان، كوّنت ثروة علمية وثقافة لغوية، ومراجع معرفية مُسَعِّفة وكافية أو كالكافية في أزمانها. لذا إنقّ بها اللغويون: شرحاً واختصاراً وتوسيعاً وتحقيقاً؛ فتنوّعت المعاجم بتنوّع طرق الوضع كما أنفَ الذّكر.

1. - المعاجم العربية قديماً وحديثاً، زين كامل الخويسكي، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د ط)، 2007، ص 42.
2. - المرجع السابق، ص 24.
3. - المعجم العربي بين الماضي والحاضر، عدنان الخطيب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 2، 1994، ص 9.
4. - المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، عبد الحميد أبوسكي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط 2، 1981، ص 19.
5. - المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها، إميل يعقوب، ص 28.
6. - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
7. - المدارس المعجمية العربية نشأتها-تطورها-مناهجها-، صلاح راوي، دار الثقافة العربية، القاهرة، مصر، ط 1، 1990، ص 12 وما بعدها.
8. - سرّ صناعة الإعراب، ابن جني، ح مصطفى السقا و رفيقه، نابالي الحلبي، القاهرة، مصر، ج 1، ص 36-37.
9. - البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، ص 162.
10. - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مادة (عجم).
11. - كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج 3، ص 428، مادة (ق.م.س).
12. - لسان العرب، ابن منظور، ص 3737-3738، مادة (ق.م.س).
13. - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص 358، مادة (ق.م.س).
14. - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
15. - البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، ص 173.
16. - المعجم العربي بين الماضي والحاضر، عدنان الخطيب، ص 51.
17. - قاموس أو معجم (قاموس الدبلوماسية نموذجاً)، ليلي المسعودي: مجلة اللسان العربي، ع 54، 2005، ص 262.
18. - سرّ صناعة الإعراب، ابن جني، ص 36-37.
19. - البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، ص 162.
20. - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة (عجم).
21. - البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، ص 165.
22. - البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، ص 165-166.

23. - علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط، 1991، ص3.
24. - المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر هجري، إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص5.
25. - منهج المعجمية، جورج ما طوري، تر: عبد الله الودغيري، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، د ط، 1993، ص57.
26. - التطورات المعجمية و المعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة ، صافية زفندي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2008، ط1، ص159.
27. - القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة (صنع)، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص739.
28. - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، أحمد بن علي القلقشندي ، دار الكتب العلمية ودار الفكر، بيروت، لبنان، 1987، ص125.
29. - دراسات في المعجم العربي، إبراهيم بن مراد ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص10.
30. - علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي ، ص03.
31. - البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، ص168.
32. - مقدمة لدراسة التراث المعجمي، حلمي خليل، ص23.

7. قائمة المراجع:

- البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، دار الثقافة، الدار البيضاء، الرباط، 1986.
- التطورات المعجمية و المعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة ، صافية زفندي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2008.
- دراسات في المعجم العربي، إبراهيم بن مراد ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1.
- سر صناعة الإعراب، ابن جني، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية ، ط2، بيروت ، لبنان، 2007.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، أحمد بن علي القلقشندي ، دار الكتب العلمية ودار الفكر، بيروت، لبنان، 1987.
- علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط، 1991.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة (صنع)، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005.
- قاموس أو معجم (قاموس الدبلوماسية نموذجاً)، ليلي المسعودي: مجلة اللسان العربي، ع 54،
- المدارس المعجمية العربية نشأتها-تطورها-مناهجها-، صلاح راوي، دار الثقافة العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1990.
- المعاجم العربية قديما وحديثا ، زين كامل الخويسكي ،دار المعرفة الجامعية،مصر، (د ط)، 2007.
- المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر هجري، إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص5.
- المعجم العربي بين الماضي والحاضر ،عدنان الخطيب ،مكتبة لبنان ناشرون،بيروت،لبنان،ط2، 1994
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة

- مقدمة لدراسة التراث المعجمي، حلمي خليل
- منهج المعجمية، جورج ما طوري، تر: عبد الله الودغيري، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، د ط، 1993.